وعن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ : **"كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ، ثم يقول: أيهما أكثر أخذا للقرآن ، فإذا[٣٦] أشير إلى أحدهما قدمه فى اللحد"**[٣٧] رواه البخارى .

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ :

"إن الله عز وجل قال: من عادى[٣٨] لى وليا ، فقد آذنته بالحرب"[٣٩]. رواه البخارى.

وثبت فى الصحيحين عنه ﷺ أنه قال :

"من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله تعالى ، فلا يطلبنكم الله بشىء من ذمته" [٤٠]

وعن الإمامين الجليلين أبى حنيفة والشافعى ـ رحمهما الله تعالى ـ قالا : إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله ولى .

قال الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمه الله : اعلم يا أخى وفقنا الله تعالى وإياك لمرضاته ، وجعلنا وإياك [٤١] ممن يخشاه ، ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله فى هتك أستار منتقصيهم معلومة ، وأن من أطلق لسانه فى العلماء بالثلب ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب ، **﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [٤٢] .

الباب الرابع : فى آداب معلم القرآن ومتعلمه

هذا الباب مع البابين بعده ، هو مقصود الكتاب ، وهو طويل منتشر جدًا ، وأنا أشير إلى مقاصده مختصرة فى فصول ، ليسهل حفظه ، وضبطه ، إن شاء الله تعالى .

فصل : (اقصد وجه الله أولاً) [٤٣]

أول ما ينبغى للمقرئ والقارئ أن يقصدا بذلك رضا الله تعالى ، قال الله تعالى :

---

(٣٦) فى المطبوعة : (فإن) .

(٣٧) إسناده صحيح ، أخرجه البخارى (١١٤/٢ ــ ١١٥) ، والترمذى (١٠٤١) ، والنسائى (٨٣/٤) ، وابن ماجة (١٥١٥) .

(٣٨) فى المطبوعة: (من آذى لى) .

(٣٩) إسناده صحيح ، أخرجه البخارى (١٣١/٨) .

(٤٠) إسناده صحيح ، أخرجه مسلم (١٥٨/٥) ، والترمذى (٢٢٢) ، وأحمد (٣١٢/٤ ــ ٣١٣) ، من حديث جندب بن سفيان ، وابن ماجة (٣٩٤٥) من حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه. ولم أجده كما قال الإمام النووى فى "البخارى" والله أعلم .

(٤١) سقط من المطبوعة : (وإياك) .

(٤٢) سورة النور : آية ٦٣ .

(٤٣) العنوان مضاف من المحقق .

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ ﴾[٤٤] أى الملّة المستقيمة .

وفى "الصحيحين" عن رسول الله ﷺ : "**إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى**"[٤٥] . وهذا الحديث من أصول الإسلام .

وروينا عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : "**إنما يحفظ الرجل على قدر نيته**".

وعن غيره : إنما يعطى الناس على قدر نياتهم .

وروينا عن الأستاذ أبى القاسم القشيرى ـ رحمه الله تعالى ـ قال : الإخلاص إفراد الحق فى الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شىء آخر من تصنع لمخلوق ، أو اكتساب محمدة عند الناس ، أو محبة ، أو مدح من الخلق ، أو معنى من المعانى سوى التقرب إلى الله تعالى .

قال ، ويصح أن يقال : الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين .

وعن حذيفة المرعشى ـ رحمه الله تعالى ـ قال : الإخلاص استواء السر ، والعلانية .

وعن ذى النون ـ رحمه الله تعالى ـ : ثلاث من علامات الإخلاص : استواء المدح ، والذم من العامة ، ونسيان رؤية العمل[٤٦] ، واقتضاء ثواب الأعمال فى الآخرة .

وعن الفضيل بن عياض ـ رضى الله عنه ـ قال : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما .

وعن سهل التسترى ـ رحمه الله ـ قال : نظر الأكياس فى تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا ، أن تكون حركته وسكونه فى سره وعلانيته لله تعالى وحده ، لا يمازجه شىء ، لا نفس ، ولا هوى ، ولا دنيا .

وعن السرى ـ رحمه الله ـ قال : لا تعمل للناس شيئا ، ولا تترك لهم شيئا ، ولا تغط لهم شيئا ، ولا تكشف لهم شيئا .

وعن القشيرى ـ رحمه الله ـ قال: أقل[٤٧] الصدق استواء السر والعلانية .

وعن الحارث المحاسبى ـ رحمه الله ـ قال : الصادق هو الذى لا يبالى ، ولو خرج عن كل قدر له فى قلوب الخلق[٤٨] من أجل صلاح قلبه ، ولا يحب إطلاع الناس على

---

(٤٤) سورة البينة : آية ٥ .

(٤٥) إسناده صحيح ، أخرجه البخارى (٢/١) ، (٢١/١) ، (١٩١/٣) ، (٧٢/٥) ، ومسلم (٥٣/١٣) ، وابن ماجة (٤٢٢٧) ، وأحمد (٢٥/١ ، ٤٣) .

(٤٦) فى المخطوطة : (الأعمال) .

(٤٧) فى المطبوعة : (أفضل) ، وانظر الرسالة القشيرية (ص/١٠٦) .

(٤٨) فى المطبوعة : (الخلائق) .

[مثاقيل الذر من حسن عمله ، ولا يكره إطلاع الناس على][49] السيئ من عمله ، فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم ، وليس هذا من أخلاق الصديقين .

وعن غيره : إذا طلبت الله تعالى بالصدق ، أعطاك الله مرآة تبصر فيها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة .

وأقاويل السلف فى هذا كثيرة أشرنا إلى هذه الأحرف منها ، تنبيها على المطلوب ، وقد ذكرت جملا من ذلك مع شرحها فى أول شرح المهذب ، [فى الرابع قبل الطهارة][50] ، وضممت إليها من آداب العالم ، والمتعلم ، والفقيه ، والمتفقه ، ما لا يستغنى عنه طالب علم ، والله أعلم .

فصل : (إياك والأغراض الدنيوية) (*)

وينبغى أن لا يقصد به توصلا إلى غرض من أغراض الدنيا ، من مال ، أو رئاسة أو وجاهة ، أو ارتفاع على الأقران[51] ، أو ثناء عند الناس ، أو صرف وجوه الناس إليه ، أو نحو ذلك .

ولا يشين[52] المقرئ إقراؤه بطمع فى رفق ، يحصل له من بعض من يقرأ عليه ، سواء كان الرفق مالا أو خدمة ، وإن قل ، ولو كان على صورة الهدية ، التى لولا قراءته عليه لما أهداها إليه ، قال تعالى :

﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾[53]

وقال تعالى : **﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾**[54].

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

"من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من أعراض الدنيا ، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة"[55]. رواه أبو داود بإسناد صحيح ، ومثله

---

(٤٩) ما بين المعكوفتين سقط من المطبوعة .

(٥٠) ما بين المعكوفتين سقط من المطبوعة .

(*) مضاف من المحقق .

(٥١) فى المطبوعة : (أقرانه) .

(٥٢) فى المطبوعة : (ولا يشوب) .

(٥٣) سورة الشورى : ٢٠ .

(٥٤) سورة الإسراء : ١٨ .

(٥٥) إسناده صحيح ، أخرجه أبو داود (٣٦٦٤) ، وابن ماجة (٢٥٢) ، وأحمد (٣٣٨/٢) ، وابن حبان (١٤٨/١) ، والحاكم (٥٨/١) . فى سنده فليح بن سليمان الخزاعى ، قال الحافظ : صدوق ، كثير الخطأ ، لكن رواه ابن المبارك (٤٤) فى الزهد موقوفا على أبى ذر ، وقد تابع زائد بن قدامة ، وهو ثقة ، فليحا .

أحاديث كثيرة . وعن أنس وحذيفة وكعب بن مالك ـ رضى الله عنهم ـ أن رسول الله ﷺ قال : "**من طلب العلم ليمارى به السفهاء ، أو يكاثر به العلماء ، أو يصرف به وجوه الناس إليه ، فليتبوأ مقعده من النار**"[٥٦] . رواه الترمذى من رواية كعب بن مالك، وقال: "أدخله الله النار" .

فصل : (احترز من سوء النية) (*)

وليحذر كل الحذر من قصده التكثر بكثرة المشتغلين عليه ، والمختلفين إليه .

وليحذر من كراهته قراءة أصحابه على غيره ممن ينتفع به ، وهذه مصيبة يبتلى بها بعض المعلمين الجاهلين ، وهى دلالة بينة من صاحبها على سوء نيته ، وفساد طويته ، بل هى حجة قاطعة على عدم إرادته بتعليمه وجه الله تعالى الكريم ، فإنه لو أراد الله بتعليمه لما كره ذلك ، بل قال لنفسه : أنا أردت الطاعة بتعليمه ، وقد حصلت ، وقد قصد بقراءته على غيرى زيادة علم ، فلا عتب عليه .

وقد روينا فى مسند الإمام المجمع على حفظه وإمامته[٥٧] أبى محمد الدارمى ـ رحمه الله ـ عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال :

"**يا حملة القرآن ـ أو قال يا حملة العلم ـ : اعملوا به ، فإنما العالم من عمل بما علم ، ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم ، لا يجاوز تراقيهم ، يخالف عملهم علمهم ، وتخالف سريرتهم علانيتهم ، ويجلسون حلقا حلقا ، يباهى بعضهم بعضا حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ، ويدعه ، أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك إلى الله تعالى**"[٥٨] .

وقد صح عن الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ أنه قال : "وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم ، يعنى علمه وكتبه ـ على أن لا ينسب إلى حرف منه"[٥٩]

---

(٥٦) إسناده حسن ، أخرجه الترمذى (٢٧٩٢) ، والحاكم (٨٦/١) ، والطبرانى (١٠٠/١٩) برقم (١٩٩) من حديث كعب وفى سنده إسحاق بن يحيى ، قال الحافظ: ضعيف ، التقريب (٦٢/١) ، وأخرجه ابن ماجة . (٢٥٣) من حديث ابن عمر ، وفى سنده حماد بن عبد الرحمن ، ضعفه الحافظ ، وأبو كرب الأزدى ، قال : مجهول، انظر: التقريب (١٩٧/١) ، (٤٦٦/٢). وأخرجه ابن ماجة (٢٥٩) من حديث حذيفة ، وفى سنده بشير بن ميمون، قال الحافظ : متروك ، متهم ، التقريب (١٠٤/١) . وأخرجه ابن ماجة (٢٥٤) وابن حبان (١٤٧/١) ، والحاكم (٨٦/١) وفيه عنعنة ابن جريج ، وأبو الزبير ، وأخرجه الطبرانى ، وفيه عبد الخالق بن زيد ، وهو ضعيف، قاله الهيثمى ، مجمع الزوائد (١٨٤/١) وبمجموع الطرق يرتقى إلى الحسن .

(*) العنوان مضاف من المحقق .

(٥٧) فى المخطوطة : (أمانته) .

(٥٨) إسناده ضعيف ، أخرجه الدارمى (٣٨٨) فى سنده ثوير بن أبى فاختة ، قال الحافظ : ضعيف ، رُمى بالرفض، التقريب (١٢١/١) .

(٥٩) حلية الأولياء (١١٨/٩) .

فصل : (عليك بالخصال الحميدة ، والشيم المرضية) (*)

وينبغى للمعلم أن يتخلق بالمحاسن التى ورد الشرع بها ، والخصال الحميدة ، والشيم المرضية التى أرشد الله إليها ، من الزهادة فى الدنيا ، والتقلل منها ، وعدم المبالاة بها ، وبأهلها ، والسخاء ، والجود ، ومكارم الأخلاق ، وطلاقة الوجه من غير خروج إلى حد الخلاعة ، والحلم ، والصبر ، والتنزه عن دنىء الاكتساب[٦٠] ، وملازمة الورع ، والخشوع ، والسكينة ، والوقار ، والتواضع ، والخضوع ، واجتناب الضحك ، والإكثار من المزاح ، وملازمة الوظائف الشرعية ، كالتنظيف بإزالة الأوساخ ، والشعور التى ورد الشرع بإزالتها ، كقص الشارب ، وتقليم الأظافر[٦١] ، وتسريح اللحية ، وإزالة الروائح الكريهة ، والملابس المكروهة ، وليحذر كل الحذر من : الحسد والرياء ، والعجب ، واحتقار غيره ، وإن كان دونه . وينبغى أن يستعمل الأحاديث الواردة فى التسبيح والتهليل ، ونحوهما من الأذكار ، والدعوات ، وأن يراقب الله تعالى فى سره وعلانيته ، ويحافظ على ذلك ، وأن يكون تعويله فى جميع أموره على الله تعالى .

فصل :(كن رفيقًا بطالب العلم) (*)

وينبغى له أن يرفق بمن يقرأ عليه ، وأن يرحب به ، ويحسن إليه ، بحسب حاله . فقد روينا عن أبى هارون العبدى قال : كنا نأتى أبا سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ فيقول : مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ ، إن النبى ﷺ قال : "**إن الناس لكم تُبع ، وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض ، فيتفقهون فى الدين ، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرًا**[٦٢]". رواه الترمذى[٦٣] وابن ماجة وغيرهما .

فصل : (كيفية معاملة طالب العلم) (*)

وينبغى أن يبذل لهم النصيحة ، فإن رسول الله ﷺ قال : "**الدين النصيحة**" قلنا لمن يا

(*) العنوان مضاف من المحقق .

(٦٠) فى المطبوعة : (المكاسب) .

(٦١) فى المطبوعة : (الظفر) .

(*) العنوان مضاف من المحقق .

(٦٢) إسناده ضعيف ، أخرجه الترمذى (٢٧٨٨) ، (٢٧٨٩) ، وابن ماجة (٢٤٧) ، (٢٤٩) ، وأبو نعيم (٢٥٢/٩ ـ ٢٥٣) فى الحلية ، فى سنده أبو هارون العبدى ، قال الحافظ : متروك ، ومنهم من كذبه ، التقريب (٤٩/٢) . لكن تابعه شهر بن حوشب عند الخطيب البغدادى (١١٦/٢) فى "الفقيه" وهو صدوق ، كثير الخطأ والوهم ، وفى سنده ليث بن أبى سليم ، صدوق ، اختلط ولم يتميز حديثه فترك ، التقريب (١٣٨/٢) .

(٦٣) فى المخطوطة : (أبو داود) ، والصواب ما أثبتناه من المطبوعة ، فليس الحديث المذكور عند أبى داود .

(*) العنوان مضاف من المحقق .

رسول الله ؟! قال : "**لله ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم**"[٦٤]. رواه مسلم .

ومن النصيحة لله تعالى ، ولكتابه إكرام قارئه ، وطالبه ، وإرشاده إلى مصلحته ، والرفق به ، ومساعدته على طلبه بما أمكن ، وتألف[٦٥] قلب الطالب ، وأن يكون سمحا بتعليمه في رفق ، متلطفا به ، ومحرضا له على التعليم .

وينبغي له أن يذكر فضيلة ذلك ليكون سببا في نشاطه ، وزيادة رغبته ، ويزهده في الدنيا ، ويصرفه عن الركون إليها بقلبه ، والاغترار بها ، ويذكره أن الاشتغال بالقرآن ، وسائر العلوم الشرعية ، هو طريقة الحازمين ، العارفين ، وعباد الله الصالحين ، وأن ذلك رتبة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وينبغي أن يشفق على الطالب ، ويعتني بمصالح ولده ، ومصالح نفسه ، ويجرى المتعلم مجرى ولده في الشفقة عليه ، والصبر على جفائه ، وسوء أدبه ، ويعذره في قلة أدبه في بعض الأحيان ، فإن الإنسان معرض للنقائص ، لا سيما إذا كان صغير السن .

وينبغي أن يحب له ما يحب لنفسه من الخير ، وأن يكره له ما يكره لنفسه من النقص مطلقًا ، فقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : "**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**"[٦٦]. وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : أكرم الناس عليَّ جليسي الذي يتخطى الناس ، حتى يجلس إليَّ ، لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت . وفي رواية : إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني[٦٧] .

وينبغي أن لا يتعاظم على المتعلمين ، بل يلين لهم ، ويتواضع معهم ، فقد جاء في التواضع لأحاد الناس أشياء كثيرة معروفة ، فكيف بهؤلاء الذين هم بمنزلة أولاده ، مع ما هم عليه من الاشتغال بالقرآن ، ومع ما لهم من حق الصحبة ، وترددهم إليه ، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال : "**لينوا لمن تعلمون ، ومن تتعلمون منه**"[٦٨].

وعن أبي أيوب السختياني ـ رحمه الله ـ قال[٦٩] : ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه ، تواضعًا لله تعالى[٧٠]

---

(٦٤) إسناده صحيح ، أخرجه مسلم (٣٧/٢) ، وأبو داود (٤٩٤٤) .

(٦٥) في المطبوعة : (تأليف) .

(٦٦) إسناده صحيح ، أخرجه البخاري (١٠/١) ، ومسلم (١٦/٢) عن أنس رضي الله عنه .

(٦٧) أخرجه البخاري (ص/٣٣٢) في الأدب المفرد من طريقين ، في الأول عبد الله بن المؤمل ، ضعيف الحديث ، كما في التقريب (٤٥٤/١) . وفي الثاني شريك القاضي ، صدوق ، يخطئ كثيرًا ، والتقريب (٣٥١/١) .

(٦٨) إسناده ضعيف جدًا ، أخرجه الخطيب في "الفقيه" (١١٣/٢) ، وفي سنده عباد بن كثير الثقفي ، متروك ، التقريب (٣٩٣/١) .

(٦٩) سقط من المخطوطة : (قال) .

(٧٠) في المطبوعة : (عز وجل) .

فصل : (طريقة التأديب) (*)

وينبغى أن يؤدب المتعلم على التدريج بالآداب السنية ، والشيم المرضية ، ورياضة نفسه بالدقائق الخفية ، ويعوده الصيانة فى جميع أموره الباطنة ، والجلية ، ويحرضه بأقواله ، وأفعاله المتكررات على الأخلاق الحميدة ، والصدق ، وحسن النيات ، ومراقبة الله تعالى فى جميع اللحظات ، ويعرفه أن لذلك تتفتح عليه أنوار المعارف ، وينشرح صدره ، ويتفجر من قلبه ينابيع الحكم واللطائف ، ويبارك له فى علمه ، وحاله ، ويوفق فى أفعاله ، وأقواله .

فصل : (حكم التعليم) (**)

تعليم المتعلمين فرض كفاية ، فإن لم يكن من يصلح إلا واحدا تعين عليه ، وإن كان جماعة يحصل التعليم ببعضهم ، فإن امتنعوا كلهم أثموا ، وإن قام به بعضهم سقط الحرج عن الباقين ، وإن طلب من أحدهم ، وامتنع فأظهر الوجهين أنه لا يأثم ، لكن يكره له ذلك إذا[٧١] لم يكن عذر .

فصل : (آداب مستحبة للمعلم) (***)

يستحب للمعلم أن يكون حريصا على تعليمهم ، مؤثرا ذلك على مصالح نفسه الدنيوية التى ليست بضرورية ، وأن يفرغ قلبه فى حال جلوسه لإقرائهم من الأسباب الشاغلة كلها ، وهى كثيرة معروفة ، وأن يكون حريصا على تفهيمهم ، وأن يعطى كل إنسان منهم ما يليق به ، فلا يكثر على من لا يحتمل الإكثار ، ولا يقصر على من[٧٢] يحتمل الزيادة ، ويأخذهم بإعادة محفوظاتهم ، ويثنى على من ظهرت نجابته[٧٣] ، ما لم يخش عليه فتنة بإعجاب ، أو غيره ، ومن قصر عنفه تعنيفا لطيفا ما لم يخش تنفيره ، ولا يحسد أحدا منهم لبراعة تظهر منه ، ولا يستكثر فيه ما أنعم الله تعالى به عليه ، فإن الحسد للأجانب حرام ، شديد التحريم ، فكيف للمتعلم الذى هو بمنزلة الولد ، ويعود من فضيلته إلى معلمه فى الآخرة الثواب الجزيل ، وفى الدنيا الثناء الجميل ، والله الموفق[٧٤].

(*) العنوان مضاف من المحقق .

(**) العنوان مضاف من المحقق .

(٧١) فى المطبوعة : (إن) .

(***) العنوان مضاف من المحقق .

(٧٢) فى المطبوعة : (لمن) مكان (على من) .

(٧٣) النجابة: مصدر النجيب من الرجال ، وهو الكريم ذو الحسب إذا خرج خروج أبيه فى الكرم، والمراد هنا الذكاء

(٧٤) سقط من المخطوطة : (والله الموفق) .

فصل

ويقدم فى تعليمهم إذا ازدحموا الأول ، فالأول ، فإن رضى الأول بتقديم غيره قدمه ، وينبغى أن يظهر لهم البشر ، وطلاقة الوجه ، ويتفقد أحوالهم ، ويسأل عنهم ،وعمن غاب منهم .

فصل

قال العلماء رضى الله عنهم : ولا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية .

فقد قال سفيان وغيره : طلبهم للعلم نية .

وقالوا : طلبنا العلم لغير الله تعالى ، فأبى أن يكون إلا لله[٧٥].

معناه : كانت عاقبته[٧٦] أن صار لله تعالى .

فصل

ويصون يديه فى حال القراءة عن العبث ، وعينيه عن تفريق نظرهما من غير حاجة ، ويقعد على طهارة ، مستقبل القبلة ، ويجلس بوقار ، وتكون ثيابه بيضاء نظيفة ، وإذا وصل إلى موضع جلوسه صلى ركعتين قبل الجلوس ، سواء كان الموضع مسجدا ، أو غيره ، فإن كان مسجدا كان آكد ، فإنه يكره الجلوس فيه قبل أن يصلى ، ويقعد[٧٧] متربعا إن شاء أو غير متربع . وروى أبو بكر بن أبى داود السجستانى بإسناده عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ كان يقرئ الناس فى المسجد جاثيا على ركبتيه .

فصل

ومن آدابه المتأكدة ، وما يعتنى بحفظه أن لا يذل العلم فيذهب إلى مكان ينسب إلى من يتعلم منه فيه ، وإن كان المتعلم منه فيه خليفة فمن دونه ، بل يصون العلم عن ذلك ، كما صانه عنه السلف ـ رضى الله عنهم ـ ، وحكاياتهم فى هذا كثيرة مشهورة .

فصل

وينبغى أن يكون مجلسه واسعًا ليتمكن جلساؤه فيه ، ففى الحديث عن النبى ﷺ : "**خير المجالس أوسعها**"[٧٨] ، رواه أبو داود فى "سننه" فى أوائل كتاب الآداب بإسناد صحيح من رواية أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

---

(٧٥) الحلية (٦/٣٦٤) .

(٧٦) فى المطبوعة : (غايته) .

(٧٧) فى المطبوعة : (ويجلس) .

(٧٨) أخرجه أبو داود (٤٨٢٠) ، وأحمد (٣/١٨ ، ٦٩) ، والحاكم (٤/٢٦٩) وقال : صحيح على شرط البخارى ، وصححه الشيخ الألبانى بشاهده كما فى السلسلة الصحيحة (٨٣٢) .

فصل : (فى آداب المتعلم)

جميع ما ذكرناه من آداب المعلم فى نفسه آداب للمتعلم ، ومن آدابه :

أن يتجنب الأسباب الشاغلة عن التحصيل ، إلا سببًا لابد منه للحاجة ، وينبغى أن يطهر قلبه من الأدناس ، ليصلح لقبول القرآن ، وحفظه ، واستثماره ، فقد صح عن النبى[٧٩] ﷺ أنه قال : "**ألا إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب**"[٨٠].

وقد أحسن القائل بقوله : يطيب القلب للعلم كما تطيب الأرض للزراعة .

فصل[٨١]

وينبغى أن يتواضع لمعلمه، ويتأدب معه، وإن كان أصغر منه سنًا ، وأقل شهرة ونسبًا ، وصلاحًا ، وغير ذلك ، ويتواضع للعلم ، فبتواضعه للعلم يدركه ، وقد قالوا نظمًا :

العلم حرب للفتى[٨٢] المتعالى كالسيل حرب للمكان العالى

وينبغى أن ينقاد لمعلمه ، ويشاوره فى أموره ، ويقبل قوله كالمريض العاقل ، يقبل قول الطبيب الناصح الحاذق ، وهذا أولى .

فصل

ولا يتعلم إلا من كملت أهليته ، وظهرت ديانته ، وتحققت معرفته ، واشتهرت صيانته ، فقد قال محمد بن سيرين ، ومالك بن أنس وغيرهما من السلف : هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم .

وعليه أن ينظر إلى معلمه بعين الاحترام ، ويعتقد كمال أهليته ، ورجحانه على طبقته ، فإنه أقرب إلى انتفاعه به ، وكان بعض المتقدمين إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشىء ، وقال : اللهم استر عيب معلمى عنى ، ولا تذهب بركة علمه منى .

وقال الربيع صاحب الشافعى ـ رحمهما الله ـ : ما اجترأت أن أشرب الماء ، والشافعى ينظر إلىّ هيبة له .

وروينا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال : من حق المعلم عليك : أن تسلم على الناس عامة ، وتخصه دونه بالتحية[٨٣] ، وأن لا تجلس أمامه ، ولا

---

(٧٩) فى المطبوعة : (عن رسول الله) .

(٨٠) إسناده صحيح ، أخرجه البخارى (١/٢٠) ، ومسلم (١١/٢٨) ، وابن ماجة (٣٩٨٤) .

(٨١) سقط من المطبوعة : (فصل) .

(٨٢) سقط من المخطوطة : (للفتى) .

(٨٣) فى المطبوعة : (بتحية) .

تشيرن عنده بيدك ، ولا تغمزن بعينيك ، ولا تقولن قال فلان خلافًا لقوله ، ولا تغتابن عنده أحدًا ، ولا تشاور جليسك فى مجلسه ، ولا تأخذ بثوبه إذا قام[٨٤] ، ولا تلح عليه إذا كسل ، ولا تعرض ، أى تشبع من طول صحبته[٨٥] .

وينبغى أن يتأدب بهذه الخصال التى أرشد إليها على ـ كرم الله وجهه ـ وأن يرد غيبة شيخه إن قدر ، فإن تعذر عليه ردّها فارق ذلك المجلس .

فصل

ويدخل على الشيخ كامل الحال[٨٦]، متصفًا بما ذكرناه فى المعلم ، متطهرًا ، مستعملاً للسواك ، فارغ القلب من الأمور الشاغلة ، وأن لا يدخل بغير استئذان إذا كان الشيخ فى مكان يحتاج فيه إلى استئذان ، وأن يسلم على الحاضرين إذا دخل ، ويخصه دونهم بالتحية [٨٧] ، وأن يسلم عليه ، وعليهم إذا انصرف كما جاء فى الحديث : **"فليست الأولى أحق من الثانية"**[٨٨] .

ولا يتخطى رقاب الناس ، بل يجلس حيث ينتهى به المجلس ، إلا أن يأذن له الشيخ فى التقدم ، أو يعلم من حالهم إيثارهم لذلك ، ولا يقيم أحدًا من موضعه ، فإن آثره غيره لم يقبل اقتداء بابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ إلا أن يكون فى تقدمه مصلحة للحاضرين ، أو أمره الشيخ بذلك ، ولا يجلس فى وسط الحلقة إلا لضرورة ، ولا يجلس بين صاحبين بغير إذنهما ، وإن فسحا له قعد ، وضم نفسه .

فصل

وينبغى أيضًا أن يتأدب مع رفقته ، وحاضرى مجلس الشيخ ، فإن ذلك تأدب مع الشيخ ، وصيانة لمجلسه ، ويقعد بين يدى الشيخ قعدة المتعلمين ، لا قعدة المعلمين ، ولا يرفع صوته رفعًا بليغًا من غير حاجة ، ولا يضحك ، ولا يكثر الكلام من غير حاجة ، ولا يعبث بيده ، ولا بغيرهما ، ولا يلتفت يمينًا ولا شمالاً من غير حاجة ، بل يكون متوجهًا إلى الشيخ مصغيًا إلى كلامه .

فصل

ومما يتأكد الاعتناء به : أن لا يقرأ على الشيخ فى حال شغل قلب الشيخ ، ومله ،

---

(٨٤) سقط من المخطوطة : (إذا قام) .

(٨٥) أخرجه ابن عبد البر (٢٥٦/١) فى "الجامع" وفى سنده سليمان النخعى ، قال أحمد بن حنبل : كان يضع الحديث ، وقال البخارى : متروك ، رماه قتيبة وإسحاق بالكذب .

(٨٦) فى المطبوعة : (الخصال) .

(٨٧) سقط من المخطوطة : (دونهم بالتحية) .

(٨٨) إسناده صحيح ، أخرجه أبو داود (٥٢٠٨) ، والترمذى (٢٨٤٩) ، وأحمد (٢٣٠/٢) ، وله شواهد .

واستيفازه[٨٩]، وروعه ، وغمه ، وفرحه ، وعطشه ، ونعاسه ، وقلقه ، ونحو ذلك مما يشق عليه ، أو يمنعه من كمال حضور القلب ، والنشاط ، وأن يغتنم أوقات نشاطه .

ومن آدابه أن يتحمل جفوة الشيخ ، وسوء خلقه ، ولا يصده ذلك عن ملازمته ، واعتقاده كماله ، ويتأول لأفعاله ، وأقواله التى ظاهرها الفساد تأويلات صحيحة ، فما يعجز عن ذلك إلا قليل التوفيق ، أو عديمه .

وإذا[٩٠] جفاه الشيخ ابتدأ هو بالاعتذار إلى الشيخ ، وأظهر أن الذنب له ، والعتب عليه ، فلذلك أنفع له فى الدنيا والآخرة ، وأنقى لقلب الشيخ ، وقد قالوا : من لم يصبر على ذل التعليم بقى عمره فى عماية الجهالة ، ومن صبر عليه آل أمره[٩١] إلى عز الآخرة ، والدنيا . ومن الأثر المشهور عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : ذللت طالبًا ، فعززت مطلوبًا[٩٢] .

[وقد أحسن من قال :

من لم يذق طعم المذلة ساعة قطع الزمان بأسره مذلولاً][٩٣]

فصل

ومن آدابه المتأكدة أن يكون حريصًا على التعلم ، مواظبًا عليه فى جميع الأوقات التى يتمكن منه فيها ، ولا يقنع بالقليل مع تمكنه من الكثير ، ولا يحمل نفسه ما لا يطيق ، مخافة من الملل ، وضياع ما حصل ، وهذا يختلف باختلاف الناس ، والأحوال ، وإذا جاء إلى مجلس الشيخ فلم يجده انتظر ، ولازم بابه ، ولا يفوت وظيفته إلا أن يخاف كراهة الشيخ لذلك ، بأن يعلم من حالة الإقراء فى وقت بعينه ، وأنه لا يقرئ فى غيره ، وإذا وجد الشيخ نائمًا ، أو مشتغلاً بهم لم يستأذن عليه ، بل يصبر إلى استيقاظه ، أو فراغه ، أو ينصرف ، والصبر أولى كما كان ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وغيره يفعلون. وينبغى أن يأخذ نفسه بالاجتهاد ، والتحصيل فى وقت الفراغ ، والنشاط ، وقوة البدن ، ونباهة الخاطر ، وقلة الشاغلات قبل عوارض البطالة ، وارتفاع المنزلة .

فقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه : تفقهوا قبل أن تسودوا[٩٤]. معناه : اجتهدوا فى كمال أهليتكم ، وأنتم أتباع ، قبل أن تصيروا سادة ، فإنكم إذا صرتم

---

(٨٩) فى المطبوعة : (استيفاؤه) .

(٩٠) فى المطبوعة : (وإن) .

(٩١) فى المخطوطة : (عمره) .

(٩٢) جامع بيان العلم (١/١٤٢) .

(٩٣) ما بين المعكوفتين سقط من المخطوطة .

(٩٤) إسناده صحيح ، أخرجه البخارى (١/٢٨) تعليقًا ، ووصله الدارمى (٢٥٦) .

سادة متبوعين امتنعتم من التعلم ، لارتفاع منزلتكم ، وكثرة شغلكم ، وهذا معنى قول الإمام الشافعى ـ رحمه الله تعالى : تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه .

فصل

وينبغى أن يبكر بقراءته على الشيخ أول النهار ، لحديث :

"اللهم بارك لأمتى فى بكورها"[٩٥]

وينبغى أن يحافظ على قراءة محفوظاته[٩٦] ، ولا ينبغى أن يؤثر بنوبته غيره ، فإن الإيثار فى القرب مكروه ، بخلاف الإيثار بحظوظ النفوس [٩٧] ، فإنه محبوب . فإن رأى الشيخ المصلحة فى الإيثار فى بعض الأوقات لمعنى شرعى ، فأشار إليه[٩٨] بذلك امتثل أمره ، ومما يجب عليه ، ويتأكد الوصيه به :

أن لا يحسد أحدًا من رفقته ، أو غيرهم على فضيلة رزقه الله إياها ، وأن لا يعجب بنفسه بما خصه الله ، وقد قدمنا إيضاح هذا فى آداب الشيخ ، وطريقه فى نفى العجب أن يذكر نفسه أنه لم يحصل ما حصله بحوله وقوته ، وإنما هو فضل من الله تعالى ، ولا ينبغى أن يعجب بشيء لم يخترعه بل أودعه الله تعالى فيه ، وطريقه فى نفى الحسد أن يعلم أن حكمة الله تعالى اقتضت جعل هذه الفضيلة فى هذا ، فينبغى أن لا يعترض عليها ، ولا يكره حكمة أرادها الله تعالى ، ولم يكرهها .

الباب الخامس : فى آداب حامل القرآن

وقد تقدم جمل منها[٩٩] فى الباب الذى قبل هذا .

ومن آدابه : أن يكون على أكمل الأحوال ، وأكرم الشمائل ، وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه إجلالاً للقرآن ، وأن يكون مصونًا عن دنيء الاكتساب ، شريف النفس ، مترفعًا[١٠٠] عن الجبابرة ، والجفاة من أهل الدنيا ، متواضعًا للصالحين ، وأهل الخير والمساكين ، وأن يكون متخشعًا ذا سكينةٍ ووقار .

---

(٩٥) إسناده صحيح بشواهده ، أخرجه أحمد (٣/٤١٦ ــ ٤١٧) ، وأبو داود (٢٦٠٦) ، والترمذى (١٢٣٠) وابن ماجة (٢٢٣٦) من حديث أبى هريرة والدارمى (٢/٢١٤) من حديث صخر الغامدى ، وابن ماجة (٢٢٣٧) من حديث ابن عمر ، والطبرانى (١٠٤٩٠) فى الكبير من حديث ابن مسعود (١٠٦٧٩) من حديث ابن عباس .

(٩٦) فى المطبوعة : (محفوظه) .

(٩٧) فى المطبوعة : (النفس) .

(٩٨) فى المطبوعة : (فأشار عليه) .

(٩٩) فى المطبوعة : (منه) .

(١٠٠) فى المطبوعة : (مرتفعًا) .